

١٨ - جولة حول العالم صورتان متناقضتان

• الخطبة الأولى :

أما بعد فيا أيّها الإخوة المسلمون :

كنت في جولة في العالم الإسلامي ، وخارج العالم الإسلامي .
زرت المسلمين في أقطارهم وأوطانهم وزرت - أيضاً - بعض المسلمين خارج
الأقطار والأوطان الإسلامية ، حين يعيشون أقليّات - أو جاليات - في مجتمعات غير
إسلاميّة .

والذي خرجت به صورتان متناقضتان :

صورة مشرقة مضيئة ، تملأ النفس بهجة وسروراً .
وصورة أخرى مظلمة معتمة ، تفتّت الأكباد ، وتقطع نياط الفؤاد .
هاتان الصورتان نطالعهما في كلّ مكان .

صورة معتمة لبعض المسلمين :

صورة بعض أولئك الذين ينتسبون إلى الإسلام ، ويتسمّون بأسماء المسلمين ،
وقد نسلوا من بين ظهراني المسلمين ، آبائهم مسلمون وأمّهاتهم مسلمات ، ولكنّهم
يعيشون عيشة بعيدة عن الإسلام ، ويحيون حياة غير إسلاميّة .
هذه الطائفة من الناس نراها في كلّ مكان ، نراها هنا وهناك وهناك في أرض
العرب ، وفي أرض الإسلام .

ترى أولئك الذين يحملون الأسماء الإسلامية ، ولكنّهم لا يحيون الحياة
الإسلاميّة .

ترى ذلك الشاب الذي نشأ من بين أبوين مسلمين ، ولكنّه لا يقيم الصلاة . .
لا يعظّم شعائر الله . . لا يلتزم بأدب الإسلام ، ولا بخلق الإسلام . . يشرب
المسكرات ، ويتناول المخدّرات ، ويمشي وراء الفتيات ، ويعيش عيشة الغربيّين الذين
لا دين لهم ، وإن تسمّوا في بعض الأحيان بأسماء المسيحيّة وغيرها .

هذا من ثمار (تيار التغريب) الذي يعمل عمله منذ مدة من الزمن في قلب الأمة الإسلامية .

كان هناك مستعمرون احتلوا ديار الإسلام حيناً من الزمن ، طال أو قصر ، ثم جلت جيوش هؤلاء الأجانب ، رحلت عساكرهم ، ولكن لم ترحل أفكارهم وثقافتهم وقوانينهم وتقاليدهم ومخططاتهم ، بقيت تعمل عملها في الأنفس والعقول والحياة ، وهذا هو الاستعمار الأخطر والأعمق .

الاستعمار السياسي والعسكري يحتل الأرض ، ولكن الاستعمار الفلسفي والفكري والثقافي والاجتماعي يحتل نفس الإنسان وعقله وقلبه ، يحتل حياته ، ويحتل تقاليده وآدابه ومفاهيمه ، وهذا هو الخطر .

رأينا الاستعمار قد رحل عن بلاد المسلمين ، ولكن ترك وراءه من يعمل عمل المستعمرين ، بل وجدنا من أبناء المسلمين من هو شر من المستعمرين .

كان المستعمرون يستحيون أن يحاربوا الإسلام جهرة وعلانية ، فوجدنا من حكام المسلمين من يقف جهرة ضد الإسلام . . من يحارب الله - جلّ جلاله - علانية . . من يتحدّى أحكام الإسلام وشرائعه جهاراً .

هؤلاء بعض من رضع لبان الاستعمار . . بعض من ربّاهم الاستعمار على يديه ، وصنعهم على عينيه .

كان من نتيجة هذا أن وجدنا بلاداً إسلامية تنكر للإسلام ، ولا يبقى فيها من الإسلام إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، ووجدنا من أبناء المسلمين من وصفت لكم ، ووجدنا من بنات المسلمين من تخرج من أدبها وزيّها وحجابها ، تخرج تراقص الأجانب ، وتمشي في الطرقات مكشوفة الذراعين والساقين ، بل ما هو فوق الذراعين والساقين ، لا تعترف بخلق إسلامي ، ولا بأدب إسلامي ، من الكاسيات العاريات ، المائلات المميلات .

رأينا هذا كلّه في بلاد المسلمين ، ورأينا أكثر منه خارج بلاد المسلمين .
رأينا مسلمين في جاليات قد نسوا إسلامهم ، وبعضهم - ممن ذكر إسلامه - قد نشأت له ناشئة لا يعرفون عن الإسلام ألفاً ولا باء .

بعض المسلمين الذين هاجروا إلى ديار بعيدة قد ولد لهم أولاد . . أبناء وبنات . . ولكن هؤلاء نشأوا في مجتمعات غير إسلامية ، ولم يجدوا من الآباء

والأمّهات من يربّيهم على الإسلام ، ومن ينشئهم على الإيمان والإحسان ، فنشأ ونشأة بعيدة عن المسلمين ، فقد هم أهلهم ، أصبحوا أناساً آخرين .

هذا ما حذّرت منه أولئك المسلمين في تلك البلاد ، وقلت لهم : إن كنتم قد جئتم لتجمعوا الدنيا وتخسروا الدين ، فما أسوأ هجرتكم ، وما أقبح غربتكم ! إذا كسبتم دنياكم وخسرتم أولادكم وذرايكم ، ولم تحموهم من النار ، فما كسبتم شيئاً .
وجدنا هذا في بلاد كثيرة .

صورة معتمة ، صورة مظلمة ، نراها في كل مكان .

صورة مضيئة لأبناء الإسلام :

ولكن بجوار هذه الصورة المعتمة . . الصورة السوداء : صورة أخرى مضيئة ، مشرقة بالنور ، فوّاحة بالعطر ، فيّاضة بالجمال ، موحية بالخير والبركة ، مبشرة بالظهور والانتصار بإذن الله .

هذه الصورة : صورة أبناء الصحوة الإسلامية ، صورة الرجعة إلى الإسلام ، صورة أولئك التّوّابين المتطهرين ، صورة أولئك الذين نراهم في كل مكان ، من أبناء الإسلام وبناته .

كنت في مدينة (استانبول) التي كانت عاصمة الخلافة الإسلامية العثمانية ، فوجدت الصورة المظلمة ، وجدتها في أولئك الذين لا تفرقهم عن الأوربيين في شيء في بلاد السياحة التي أعمت أعين الناس ، وأصبحت (صنماً) يتعبّد له الكثيرون .

ولكن بجوار هذا : ترى أولئك الذين يعمرّون المساجد ، ويملأونها أيام الجمع ، فتضيق بهم ، ويصلّون في الشوارع ، وهذه ظاهرة عامّة في بلاد الإسلام ، وهي صورة مضيئة بلا ريب .

رأيت في تركيا آلاف المدارس القرآنية : البنين والبنات ، والأطفال من الجنسين ، يقرأون القرآن ويحفظونه ، وقد تجد منهم من يحفظه عن ظهر قلب ، وهو لا يعرف معنى كلمة في اللغة العربية ، وهذا من معجزات هذا القرآن العظيم : أن يحفظه من لا يفهم لغته .

ازدياد البنوك الإسلامية :

كنت في (سويسرا) أحضر اجتماعاً لدار المال الإسلامي في (جنيف) ،
ولبنك التقوى في (لوجانو) ، وقلت : سبحان الله ، في وقت من الأوقات كانوا
يقولون : إنه لا يمكن أن تستغني الحياة عن الربا ، الفوائد الربوية ضرورة من
ضرورات الحياة المعاصرة ، الحياة عصبها الاقتصاد ، والاقتصاد عصبه البنوك ،
والبنوك عصبها الفوائد الربوية ، فلا تحملوا بنوك بغير ربا .

هكذا كانوا يقولون لنا في وقت من الأوقات .

ثمّ شاء الله أن تتحطّم هذه الأسطورة ، وأن يقف علماء المسلمين من كل
الاختصاصات : الاقتصاديون ، والقانونيون ، والإداريون ، والمحاسبون ، بجوار
رجال الفقه والشرعة ، يُجمعون على أنّ الربا والفوائد الربوية ، وفوائد البنوك
هي : الربا الحرام . . الحرام . . الحرام ^(١) .

ثمّ بعد ذلك يبحثون عن البدائل الشرعية ، فإذا البنوك الإسلامية تتعدّى الآن
(السبعين) ، والمهمّ أنّها تدخل أورباً وتدخل بلاد الغرب !

في سويسرا : دار المال وبنك التقوى ، وفي لندن بنوك البركة ، وفي
الدماركة : بيت التمويل الإسلامي ، وهكذا بدأت البنوك الإسلامية تغزو عالمنا
الإسلامي ، وتخرج من العالم الإسلامي إلى العالم الأوربي .

(١) وإذا بنا نفاجاً في صيف عام ١٩٩٠ م يقوم يشيرون قضية الفوائد على صفحات
الصحف المصرية من جديد ، بعد أن كانت المجمع والمؤتمرات العلمية الإسلامية قد حسمتها منذ
أكثر من ربع قرن ، وحاولوا جاهدين أن يحوّلوا المحكمات إلى متشابهات والقطعيّات إلى
ظنيّات ، وبلغت بهم الجرأة أن أفتوا بحلّ فوائد البنوك ، وكأنّه قد كُتب علينا أن نظلّ - كما
يقول الأستاذ القرضاوي - ندور حول أنفسنا كالثور في الساقية فلا نحسم معركة يوماً ولا نغلق
قضية بحال من الأحوال ، وكان الشيخ حفظه الله في مقدّمة من تصدّى لبيان الحق وكشف
الزيف والردّ على الشبهات والأباطيل ، وكان للدراسة الممتعة التي نشرها في كتابه : (فوائد
البنوك هي الربا الحرام) صداها القوي في إبلاغ هداية الله وإسماع صوت الحق ، فجزاه الله
خير ما يجزي العلماء الصادقين .

صحيح أنّها تُقاسي وتُعاني وتُحارب من جهات شتّى ، في داخل بلاد المسلمين وخارجها ، ولكنّها تقف على أرض صلبة ، بسبب مؤازرة المسلمين لها .

أصبح هناك شعور إسلاميّ عام يريد أن لا ييؤء بلعنة الله ورسوله ، فقد لعن أكل الربا ومؤكله وكاتبه وشاهديه وقال هم سواء ^(١) .

أصبح هناك شعور إسلامي يريد أن لا يأذن بحرب من الله ورسوله ، ولهذا يحرص المسلمون على البحث عن المال الحلال ، والرزق الحلال ، لا يريد أن يدخل جيبه درهم من حرام ، ولا أن يدخل بطنه لقمة من حرام ، ولا أن يغذّي أولاده بالحرام أم يكسوهم من الحرام .

هذا شعور إسلامي عارم عام .

شباب الصحوة الإسلامية :

هناك في العالم الإسلامي كلّ : ألوف وملايين الشباب الذين شرح الله صدورهم للالتزام بالإسلام الصحيح علماً وعملاً ، يعمرّون مساجد الله ، بعد أن كانت شبه مقصورة - قديماً - على الشيوخ الكبار الذين اقتربوا من حافة القبر ، وهؤلاء الشباب هم الذين يملؤون مواسم الحج والعمرة كلّ عام ، وهم الذين يلتهمون الكتب الإسلامية من معارض الكتب ، وهم الذين يسارعون إلى الجهاد كلّما دعاهم داعي الجهاد في سبيل الله .

وبجوار هؤلاء نجد الشابات المسلمات في الجامعات والمعاهد والمدارس ، وغيرها من المؤسسات ، يقبلن على (الحجاب) طائعات مختارات ، مستجيبات لأمر الله تعالى للمؤمنات : ﴿ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ، وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ﴾ . ^(٢)

لقد تمرّدن على أزياء الحضارة الغربيّة المستوردة ، التي توارثتها عن أمّاتهنّ وقريباتهنّ ، والتزمن بأوامر الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلّم .
هذه بعض معالم الصورة المضيئة .

(١) جاء ذلك في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال لعن النبي صلى الله عليه وآله أكل الربا ، ومؤكله ، وكاتبه ، وشاهديه ، وقال : « هم سواء » رواه مسلم ، وغيره (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : ٢ / ٥٣٤ برقم ١٠٥٦) .
(٢) التور : ٣١ .

في (إنجلترا) حضرت هناك مخيمًا للشباب المسلم في مدينة (ليڤربول) .
مخيم الشباب المسلم هذا يجمع صفوة الشباب الذين ذهبوا إلى تلك البلاد ليدرسوا
(البكالوريوس) أو (الماجستير) أو (الدكتوراة) .

كانوا قديمًا يبعثون بالشباب إلى أوربًا وأمريكا ليصنعوا هناك ، ويصهروا هناك ،
ويعودوا بعد مدة من الزمن خواجهات بأسماء مسلمين ، يعودون بوجوه عربية
إسلامية ، وعقول غربية أوربية .

اليوم تغير الحال ، أصبح كثير من الشباب يذهبون إلى تلك البلاد ودينهم
قليل ، وتدينهم ضعيف ، وصلاتهم خفيفة ، ولعلّه لا صلاة لهم ، فإذا هم هناك
يشعرون بالتحدي للإسلام والمسلمين ، وإذا هم يجدون شبابًا قد سبقوهم إلى
الإسلام الصحيح ، والالتزام الإسلامي الصادق ، فإذا هم يتأثرون بهذا الجو
الإسلامي والمناخ الإسلامي ، ويلتزمون بالإسلام اعتقادًا وفكرًا وشعورًا وسلوكًا
وعبادة ومعاملة .

وإذا هؤلاء الشباب يصبحون دعاة إلى الإسلام ، لم يكتفوا بأن يكونوا متدينين
في أنفسهم ، بل يحملون الإسلام إلى غيرهم ، وقيمون في ديار الغرب . . في ديار
غير إسلامية : مخيمات ومعسكرات إسلامية ، يُكبر الله فيها ، يُنادى فيها بالإسلام ،
يُؤذن فيها الأذان ، تُلقى فيها المحاضرات الإسلامية ، والأناشيد الإسلامية ، وتُعقد
فيها الندوات الإسلامية ، من قبل الفجر وإلى ما بعد العشاء .

مؤتمرات إسلامية في أمريكا :

والله لقد حضرت مخيمًا أو مؤتمرًا في إحدى مدن أمريكا فرأيت عجبًا :
فندقان كبيران قد حُجزا ، أحدهما للرجال ، والآخر للنساء ، الطوابق الثلاثين
قد أجزها الشباب في عيد مما يسمونه (أعياد الكرسمس) ، الناس يأخذون الإجازات
في تلك الفترة ليشربوا الخمر ويمارسوا الفجور ، وهؤلاء الشباب استغلّوا هذه الفترة
ليستأجروا فنادق يقيمون فيها دينهم !

من قبل الفجر بساعة تسمع في الحجرات دويًا بالقرآن كدوي النحل ، حتى إذا

جاء الفجر الصادق سمعت الأذان يؤذن في قلب أمريكا : الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله ، فإذا جاء الصباح رأيت التمرينات الرياضية ، ثم رأيت الأناشيد الإسلامية ، ثم رأيت حلقات القرآن ودراسة الحديث والسيرة ، وحلقات للفقهاء وتعلّم الأحكام ، ثم رأيت المحاضرات والندوات والمناقشات .
حياة إسلامية لعدة أيام .

قلت لهم : والرجل صاحب الفندق رضى بهذا ؟ قالوا : نعم ، وفرح به ، لأنه يؤجره للمسيحيين في مثل تلك الفترات فيكسرون الأطباق ، ويخربون الأشياء ، ولكنه يأخذ الأشياء منا بعد رحيلنا أفضل مما كانت !
نماذج وضاعة . . نماذج مسلمة ، تقرُّ بها الأعين ، وتنشر بها الصدور ، وتبتسم لها الثغور .

إذا كانت هناك صورة مظلمة معتمة ، فبجوارها صورة مضيئة مشرقة في كل مكان .

صحوة في أستراليا :

في (أستراليا) بجوار أولئك الذين ذابوا في المجتمع غير المسلم ، وذاب أبناءهم وبناتهم وضاعوا ، وجدنا آخرين حريصين على دينهم ، غيورين على أبنائهم وبناتهم ، يربّونهم على الإسلام ، وينشّونهم على القرآن منذ الصغر ، فمن شبّ على شيء شاب عليه ، ومن شاب على شيء مات عليه .

رأينا هؤلاء يتجمعون في المساجد في كلّ حين ، خاصة في أيام الجمع والسبت والأحد ، ليعلموا أبناءهم القرآن والسيرة النبوية والفقهاء وغير ذلك من أحكام الإسلام ، ويجتمعون في حلقات وفي أسر ليقوا على حياتهم الإسلامية .
وهم في تلك البلاد لا ينسون إخوانهم في البلاد الإسلامية الأخرى .

أعجبني بعد أن خطبت الجمعة في أحد المساجد في مدينة (مبرول) - وفيها جالية إسلامية وعربية كبيرة وخاصة من اللبنانيين - بعد الصلاة تنادوا بالتبرّع لإخوانهم في السودان !

كانت أنباء الفيضانات في السودان على أشدها ، فهم تنادوا بالتبرع للسودان ، رغم بُعد الشقة ، ورغم طول المسافة ، هم يشعرون بأنهم جزء من الأمة الإسلامية : « من لا يهتم بأمر المسلمين فليس منهم . . » (١) .

صورة من الصور المضيئة : دُعيت هناك إلى مؤتمر إسلامي في تلك المدينة ، همة ومحوره : البحث عن حلول لمشكلات المسلمين المغتربين هناك .

فهم يريدون أن يحيوا بالإسلام ، وأن يحيوا للإسلام ، وأن يموتوا على الإسلام ، كما قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (٢) .

حكوا لي : إنه قبل أكثر من قرن - حوالي قرن ونصف استدعي إخوان لهم من أفغانستان ، ببابلهم وجمالهم ، ليجوبوا الصحراء ، ويكتشفوها ، وينتفعوا بها ، ولكنهم ذهبوا بغير زوجاتهم ، فتزوجوا من أهل استراليا نفسها ، واستطاع الجيل الأول أن يحتفظ بإسلامه ، ولكن الأجيال التالية بعد ذلك لم تستطع أن تحتفظ بإسلامها ، فتاهت وذابت وماعت في المجتمع الكبير ، وهذا هو الخطر ، وقالوا : لا نريد أن تتكرر التجربة ، نريد أن نحفظ بأبنائنا مسلمين وبناتنا مسلمات .

هذه هي الروح الإسلامية ، هذه هي الصورة المضيئة التي لمسناها هناك .
في (أندونيسيا) وجدنا هناك تيارات . . تيارات كبيرة . . تيارات تريد أن تسليخ هذا البلد الكبير . . أكبر بلد إسلامي . . مائة وستون مليوناً . . حوالي (٩٠ ٪) أو ما يقرب من (٩٠ ٪) منهم مسلمون .

هناك تيارات التنصير تعمل عملها ، على قدم وساق ، من أوربا وأمريكا ، ومن كل بلاد التنصير تحيي الإرساليات .

إندونيسيا مجموعة من الجزر تبلغ ثلاثة آلاف جزيرة ، المسلمون يتصلون بهذه الجزر عن طريق القوارب ، أو السفن الشراعية ، أو البخارية على أقصى تقدير ، ولكن هذه الإرساليات التبشيرية التنصيرية تملك أكثر من خمسين مطارا ! بالطائرات

(١) رواه الطبراني في الكبير من حديث حذيفة من رواية عبد الله بن أبي جعفر وهو مختلف فيه ، فبعضهم ضعه ، وبعضهم وثقه ، منهم أبو حاتم وأبو زرعة وابن حبان .
أنظر : (المتقى من كتاب الترغيب والترهيب : حديث ٩٩٧) والهيتمي (١ / ٨٧) .

(٢) آل عمران : ١٠٢ .

تنتقل بين الجزر . . إمكانات هائلة أعطيها هؤلاء . . إنهم يريدون أن يعملوا عملهم في ذلك البلد الكبير .

وللأسف أقول لكم بصراحة : لقد بدأت نسبة المسلمين في التناقص ، يجب أن نصارح أنفسنا ، وهذا ما قاله لي الإخوة المسؤولون عن الدعوة هناك ، وعلي رأسهم الأخ الكبير الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء اندونيسيا الأسبق . قالوا لي : إنّ النسبة بدأت تتناقص لحساب التبشير ، ليس تناقصاً كبيراً . . أقل من (١ ٪) ، ولكن (١ ٪) في هذا التعداد الضخم يساوي مليوناً وستمائة ألف ، و (١ ٪) معناها ما يقارب المليون ، وهذا خطر .

الإسلام بطبيعته يزحف وينتشر ، ولكن إذا وُجد في مثل هذه الظروف التي يُستغل فيها ثلوث (الفقر والجهل والمرض)، فإن هؤلاء القوم يستطيعون أن يؤثروا . إن للتبشير وللتنصير في البلاد العربيّة هدفاً ، وإنّ له في خارج المنطقة العربيّة هدفاً آخر .

هدفه في المنطقة العربيّة - منطقة اللسان العربيّ الذي نزل به القرآن - أن يززع المسلمين عن الإسلام، وليس هدفه أن يدخلهم في النصرانيّة ، فهو يجد هذا شيئاً بعيداً .

أمّا خارج هذه المنطقة حيث يوجد الفهم الضعيف للإسلام - توجد عاطفة إسلاميّة، ولا يوجد فهم إسلاميّ صحيح . . لا توجد مناعة . . لا توجد حصانة إسلاميّة - فهم يعملون على إخراج المسلم من دينه، وإدخاله في الدين الآخر، وخصوصاً من الأطفال والفقراء والمشرّدين والضعفاء واليتامى وغيرهم، هم يبحثون عن مثل هؤلاء ويأخذونهم من أوّل الأمر ومنذ نعومة الأظفار ليعلموهم ويلقّنوهم دينهم .

بجوار هذه الصورة ، هناك سعي دؤوب من الدعاة ، ومن المجلس الأعلى للدعوة الإسلاميّة ، ومن الغيورين على الإسلام ، للمقاومة وللحفاظ على الذات ، وللإبقاء على الشخصية الإسلاميّة التاريخيّة لإندونيسيا .

صنفان من المسلمين متقابلان :

الإسلام في كلّ مكان يجد هذين الصنفين :
صنف المتغيّرين الذين انخلعوا من أصولهم ، وقطعوا من جذورهم، وسلخوا

من جلدھم ، أو من ذاتیتھم الإسلامیة ، هؤلاء الذین یتسمون بأسماء المسلمین ولا یعملون عمل المسلمین .

ویجد الصنف الآخر : الصنف الذی یأبى إلا أن یشعش مسلماً ویموت مسلماً ، الذی جعل الإسلام أكبر همّ ، ومحور حیاته ، ومدار تفکیره وسعیه .

ونحمد الله أنّ هذا الصنف بدأ یزداد يوماً بعد یوم ، بفضل هذه الصحوة الإسلامیة الّتی نرى آثارها ونلمس مظاهرها فی کلّ مكان من أرض الإسلام ، وخارج أرض الإسلام .

صحیح أنّ أعداء الإسلام لها بالمرصاد ، وأنّ أجهزة الرصد ترصدها وترقبها ، وترصد الملایین لدراستها ، لکی تعمل علی وأدھا ، فإمّا أن تتآکل من الداخل ، وإمّا أن تُضرب من الخارج ، تريد أن تشغلها بنفسها ، وتشغل فئاتها بعضهم ببعض ، وتقیم بینها و بین الحکام عداوات وجفوات ، وتقیم بینها و بین المجتمع فجوات وفجوات ، وهكذا أعداء الإسلام بالمرصاد للصحوة الإسلامیة .

واجب أبناء الصحوة :

وینبغي علی أبناء الصحوة الإسلامیة أن یفوتوا علی هؤلاء مقاصدهم ، إذا وعوا دورهم وعیاً صحیحاً ، إذا اهتموا بالکلیّات قبل الجزئیّات ، وبالأصول قبل الفروع ، وبالقضايا الکبيرة قبل الأمور الصغیرة ، وبالقضايا الکلیّة قبل المسائل الجزئیّة والخلاقیّة الّتی یتیحّل أن ینتھی الخلاف فیها بین الناس .

یجب علی الصحوة الإسلامیة أن تدرك هذا الدور ، وتدرك کید الأعداء الذین یسعون سعیمهم فی تمزیق الصف الإسلامی عن طریق نشر ضلالات وبدع وانحرافات یروجون لها ، فلا بدّ لأبناء الإسلام الواعین أن یعرفوا کید القوم ، وأن یحبطوا مکرهم ، ویردّوا سهامهم المسمومة إلی صدورهم : ﴿ ۞ وَیَمْكُرُونَ وَیَمْكُرُ اللَّهُ ، وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (۱) .

إنّ الصورة المزیئة تزداد والحمد لله ، وعندنا أمل کبیر أن ینصر الله الإسلام ویزعّ دینه ، وعندنا بشائر من القرآن والسنة : أنّ هذا الدین منصور ، وأنّ رایته مرفوعة وأنّه ظاهر علی الدین کلّه ولو کره المشرکون ، وصدق الله العظیم إذ یقول :

(۱) الأنفال : ۳۰ .

﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (١) ، وصدق رسوله ﷺ إذ قال : « ليلغن هذا الأمر في أي أمر هذا الدين ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر في أي في البادية أو الحضر إلا أدخله الله هذا الدين ، بعز عزيز ، أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل الله به الكفر » (٢) .

وإنما لهذا اليوم - يوم عز الإسلام وذل الكفر - إن شاء الله لمتنظرون :
 ﴿ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ * ينصر الله ، ينصر من يشاء ، وهو العزيز الرحيم * وعد الله ، لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ﴿ (٣) .
 أقول قولي هذا أيها الإخوة ، واستغفر الله تعالى لي ولكم ، فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم ، وادعوه يستجب لكم .

* *

• الخطبة الثانية :

أما بعد فيا أيها الإخوة :

هناك أمور ثلاثة ، أحب أن أنبئه عليها :

الأمر الأول : أن إخوة لكم في (بنجلادش) - ذلك البلد الإسلامي السنّي العريق ، الذي يضمّ حوالي تسعين مليوناً ، معظمهم مسلمون سنّيون - يتعرضون لأزمة شديدة ، نتيجة الفيضانات التي شردت الملايين ، وهدمت البيوت ، وغرقت الناس . فهم بحاجة إلى المعونة : « .. والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه » (٤) .

(١) التوبة : ٣٣ . الصف : ٩ .

(٢) رواه أحمد والطبراني ، ورجال أحمد رجال الصحيح . أنظر (المبشرات بانتصار

الإسلام للقرضاوي : ص ٢٧ ط . مكتبة وهبة بالقاهرة . (٣) الروم : ٤ - ٦ .

(٤) قطعة من حديث رواه مسلم ، وأبو داود ، والترمذي وحسنه ، والنسائي ،

وابن ماجه ، والحاكم وقال : صحيح على شرطهما ، عن أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو الحديث

السادس والثلاثون من أحاديث الأربعين النووية ، ونص الحديث كما رواه الترمذي : « من

نفس عن مسلم كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة ، ومن يسر على

معسر في الدنيا يسر الله عليه في الدنيا والآخرة ، ومن ستر علي مسلم في الدنيا ستر الله عليه

في الدنيا والآخرة ، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه » (المتفق من كتاب

الترغيب والترهيب : برقم ٤٧٢ ، ١٣٨٥ ، ١٥٧٠) .

لقد رأيتم إخوانكم في (استراليا) يهتمون بإخوانهم في السودان ، ونحن أولى أن نهتم بإخواننا في ذلك البلد المسلم - في بنجلادش - الذي يتعرض لغزو تبشيريّ تنصيريّ أيضاً ، حرام علينا أن تذهب أولئك الفئات الذين يمثلون الجهات المسيحية ، ولا توجد الجهات الإسلامية ممثلة تمثيلاً قوياً .

جزى الله دولة (قطر) خيراً ، حيث بادرت بإرسال المعونة ، وذهبت أول طائرة تحمل المعونات الطبية والغذائية إلى ذلك البلد ، ونحن باعتبارنا مسلمين أفراداً علينا أن نقوم بهذا الأمر .

لقد قام الكثيرون بواجبهم نحو إخوانهم في السودان ، حتى قال لي بعض الإخوة السودانيّين : إنّ السودان وجد الكثير من المعونات من (قطر) جزاها الله خيراً ، والآن علينا جميعاً أن نوجّه المساعدة إلى (بنجلادش) ، وسنفتح - إن شاء الله - حساباً في مصرف قطر الإسلامي تحت اسم (الهيئة الخيرية الإسلامية) لمساعدة الإخوة في هذا البلد الإسلامي .

نسأل الله أن يعينهم علي أزمته ، وأن يخرجهم من كربتهم ، وأن يكشف غمّتهم .

الأمر الثاني : أننا ودّعنا - في هذه الأيام - أخاً كريماً من الدعاة إلى الله ، الذين طالما استمعنا إليهم وزارونا في أكثر من مناسبة ، خاصّة في رمضان ، وفي رمضان الماضي كان هنا - في الدوحة - وحدث الإخوة في الجامع الكبير .

ذلكم هو الأخ الداعية الدكتور : يوسف حامد العالم ^(١) ، أحد الدعاة في السودان ، توفّي إلى رحمة الله تبارك وتعالى ، نسأل الله أن يتقبّله في الصالحين ، ويغفر له ، ويرحمه ويجزيه عن الدعوة الإسلامية والعمل الإسلامي خير الجزاء .

الأمر الثالث : أنّ الله سبحانه وتعالى شرف (قطر) ، بأن تضمّ قافلة الشهداء في أفغانستان أوّل شهيد من أبناء هذه البلاد ، هو ذلكم الشاب الصالح الغيور المتحمّس ابن الثامنة عشرة : أحمد عبد الله صالح الخلفي ، الذي أخذ إجازة من عمله ، ولكنّه استغلّ هذه الإجازة ليذهب إلى أفغانستان هناك ، ويخوض المعارك ، ويطلب الشهادة .

(١) عميد سابق لكلية القرآن الكريم بالخرطوم ، وهو صاحب كتاب (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) الذي أعدّه لنيل درجة الدكتوراة في الفقه وأصوله من كلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر عام ١٣٨١ هـ / ١٩٧١ م .

صحيح أنه كان يتمنى ويدعو الله أن يرده - بعد أن يأخذ الخبرة من أفغانستان -
لتكتب له الشهادة في أرض (فلسطين) لتحرير المسجد الأقصى .

كان يدعو بذلك ولكن الأجل وافاه ، وكل إنسان يذهب إلى موته حيث أراد
الله ، كما قال الله تعالى : ﴿ . . وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ﴾ (١) .

مشيناها خُطى كُتبت علينا ومن كُتبت عليه خُطى مشاها

ومن كانت منيته بأرض فليس يموت في أرض سواها

استشهد هذا الشاب الصالح المجاهد ، وضُمَّ إلى قافلة الشهداء الأبرار ، في
أشرف قتال من نوعه في تلك الأراضي حيث يدافع المسلمون عن دينهم وأرضهم
وعرضهم ، في مقاومة تلك القوة الشيوعية الملحدة الطاغية .

نسأل الله الذي هبّا لإخواننا في أفغانستان هذا الجهاد وهذا الشرف ، أن يهييء
أمثاله لأبناء الإسلام على أرض النبوات . . على أرض المقدسات في فلسطين ، وأن
يهييء الله النصر للمسلمين في كلّ جهاد يجاهدونه ، إنه سميع قريب .

اللهم انصر الإسلام وأعز المسلمين ، اللهم اجعل كلمة الإسلام هي العليا ،
واجعل كلمة الذين كفروا هي السفلى .

اللهم أعل بنا كلمة الإسلام ، وارفع بنا راية القرآن .

اللهم إنا نسألك العفو والعافية في ديننا ودنيانا ، وأهلينا وأموالنا ، اللهم استر
عوراتنا ، وآمن روعاتنا ، واحفظنا من بين أيدينا ومن خلفنا ، وعن أيماننا وعن
شمائلنا ومن فوقنا ، ونعوذ بعظمتك أن نغتال من تحتنا .

اللهم لا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين ولا أقل من ذلك .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا
عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾ (٢) .

﴿ . . رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي
قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (٣) .

(٢) آل عمران : ١٤٧ .

(١) لقمان : ٣٤ .

(٣) الحشر : ١٠ .

عباد الله : يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ، يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (١) ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّد ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

﴿ . . . وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ، إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ (٢) .

* * *

(٢) العنكبوت : ٤٥ .

(١) الأحزاب : ٥٦ .